مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



مشروع الطريقة الكتانية في الجزائر 1939- 1949
-قراءة في الخلفيات والأبعاد-

Tarika Kettania's project in Algeria 1939-1949
Reading in backgrounds and dimensions

د/ فيصل مبرك

المركز الجامعي –بريكة

تاريخ الاستلام: 06 جويلية 2019 تاريخ القبول: 26 جوان 2020 تاريخ النشر: 30 جوان 2020

Abstract:

This proposal is not for the purpose of introducing Sheikh Abi Al-Issaad Abdel-Hay El-Kettani, nor for introducing the Kettani TARIKA, but rather an attempt to read the backgrounds and dimensions of the Sheikh El-Kettani project in an attempt to expand his political and religious activity outside the Far Morocco, within the framework of unifying efforts with traditional elite in Algeria, Tunisia and Egypt.

The article in this context includes the activities of Sheikh Kettani in Algeria and its implications on the media, cultural and religious scene, and the various national positions on that movement, especially the position of the Algerian Muslim Scholars Association.

المؤلف المراسل: فيصل مبرك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



Keywords:

Kettania Tarika; Abdul Hai Al Kettani; Algeria; Al-Bashir Al-Ibrahimi; Henri de Castry; Muhammad V; Algerian Muslim Scholars Association.

الملخص:

هذا المقترح ليس من أجل التعريف بالشيخ أبي الإسعاد عبد الحي الكتاني ولا التعريف بالطريقة الكتانية، ولكنه محاولة لقراءة خلفيات وأبعاد مشروع الشيخ الكتاني في محاولة لتوسيع نشاطه السياسي والديني خارج المغرب الأقصى في إطار توحيد الجهود مع رجال النخبة التقليدية في كل من الجزائر وتونس ومصر.

يهتم المقال في هذا الإطار بنشاطات الشيخ الكتاني في الجزائر وتداعيات ذلك على الساحة الإعلامية والثقافية والدينية، والمواقف الوطنية المختلفة من ذلك الحراك، ولا سيما موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الكلمات المفتاحية:

الطريقة الكتانية ; عبد الحي الكتاني ; الجزائر ; البشير الإبراهيمي ; هنري دي كاستري ; محمد الخامس ; جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ليس من السهل الحديث عن بداية حقيقة للحركة الوطنية المغربية، باعتباره موضوعا متداخلا مع الحراك الفكري المغربي على مستوى طبقة العلماء والنخبة، فالحركة الوطنية بمفهوم أدق ظهرت –عند البعض- أول أمرها منذ الإرهاصات الأولى للإصلاح الفكري مع رواد التجديد الإسلامي في نهاية القرن

المؤلف المراسل: فيصل مبرك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020



مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فالواقع السياسي والثقافي الراهن كان يحتاج إلى نشاط وطني شامل يمس كلا من الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية مجتمعة، غير أن الحركة الوطنية كتسمية -في ظل الحماية الفرنسية- قد أخذت منحى المفهوم الذي يعبر عن السلاح كوسيلة أولى لتحقيق الهدف الوطني، فكانت الوطنية تهدف إلى المحافظة على هذا الوطن وحمايته من أي محاولة تدخل أو احتلال أو هيمنة، وبهذا حارب المغاربة في الجبال والصحراء والسواحل منذ بدأ الاستعمار الغربي يتطلع إلى ما وراء البحار فأنزل عبد الكريم السلاح في الريف، وأنزل ماء العينين السلاح في الصحراء، وأنزل حمو الزياني السلاح في الأطلس، إلا أنه ومن جهة أخرى كانت أعمال بعض العلماء والمثقفين تصب في نفس الهدف غير أنها اتخذت طريقا آخر تمثل في الاهتمام بقضايا الدولة والمجتمع من منظور فكرى يحول دون غرق البلاد في دوامة من الانحرافات السياسية والدينية والاجتماعية والسياسية.

لقد كانت الأسرة الكتانية من أكبر الأسر العلمية شهرة واحتراما في المغرب الأقصى، ذلك أنه اشتهر منها الكثير من العلماء والمتصوفة الذين تركوا تراثا ضخما في الكثير من الفنون والعلوم التي لازالت محفوظة في المكتبات والخزائن المغربية، هذه الأسرة كانت حاضرة في قلب الأحداث الحاسمة في تاريخ المغرب، من خلال اهتمام رجالاتها بالمشهد السياسي والثقافي حينها، والطريقة الصوفية الكتانية أخذت على عاتقها مهمة الإصلاح والتجديد الديني والثقافي قبل وبعد وفاة مؤسس الطريقة أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني[1] وكذا أثناء مجيء أخيه عبد الحي المعروف بمساعيه كالدعوة إلى الإصلاح الإداري بالمغرب وإحداث الدستور والمجالس النيابية، وتحريض القبائل المغربية على جهاد المستعمر الفرنسي.

المؤلف المراسل: فيصل مبرك

مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



وهذا المقترح ليس من أجل التعريف بالشيخ أبي الإسعاد عبد الحي الكتاني ولا التعريف بالطريقة الكتانية، على الرغم من أن الرجل حظي بماكنة بمكانة مرموقة في المناخ الثقافي والعلمي والديني في العالم العربي، لما تميز به من سعة الاطلاع وكثرة المصنفات وتعدد الرحلات والأسفار وتنوع واختلاف مشاربه العلمية والصوفية، ويعتبر الشيخ عبد الحي الكتاني في نضر بعض المغاربة –المنوني وغيره- من رواد الفكر الإصلاحي، ومن دعاة الإصلاح الديني والاجتماعي والأخلاقي والحضاري، بدلا من الإصلاح السياسي، على الرغم من كل هذا؛ فإن بعض النخب في كل من المغرب الأقصى –بالخصوص- والمعالم العربي –عامة-: يعتبرونه خائنا لقضايا الأمتين العربية والإسلامية في ظروف تاريخية معينة !! ولكن لا أحد ينكر ما حققه الشيخ الكتاني من شهرة أو نجاح.

هذا الطرح الأخير مبني على تعامل الشيخ الكتاني مع تلك الظروف التي ساعدته على تحصيل تلك الشهرة، وحفاظه على العلاقات الودية مع بعض الشخصيات النافذة في الإدارة الفرنسية خلال فترة الحماية على المغرب (1912/ 1956)؛ فحصل بسبب ذلك على نفوذ كبير استخدمه في كافة نشاطاته، وأسس في هذا المضمار مؤتمر الطرق الصوفية، من أجل خلق تكتل للطرق الصوفية في كل من المغرب والجزائر وتونس، وهذا ما يثير الإشكال الأكبر في محاولة قراءة متأنية متفحصة للحدث والنتيجة والسياق التاريخي لتلك المساعي، فنطرح السؤال تالي: هل كل ذلك كان منطلقه توجهات الطريقة الكتانية، أم أهداف المستعمر الذي جعل الطريقة أداة تنفيذ لها؟

في هذا السياق نجد الشيخ الكتاني قد حاول تكثيف نشاطه في البلدان الثلاثة: المغرب الجزائر، وتونس، وما يهمنا في هذا الإطار نشاطات الشيخ عبد الحي

المؤلف المراسل: فيصل مبرك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



في الجزائر من خلال زياراته المتكررة، وربط علاقات مصاهرة، وعلاقات علمية وصوفية وأيضا أخوية مع بعض الصوفية في الجزائر، ولاسيما في كل من تلمسان ومعسكر وبوسعادة وطولقة وميلة.

تطرح هذه القضايا الكثير من التساؤلات والإشكالية عن حقيقة الدعوة الكتانية في الأوساط النخبوية والثقافية والطلابية، وعن كيفية استقبال رواد الطرق الصوفية في الجزائر -الشيخ الكتاني والطريقة الكتانية، وما إذا كانت الطريقة الكتانية تسعى من خلال مؤتمر الزوايا في شمال إفريقيا لاحتواء كل الطرق تحت لوائها، ولماذا بالضبط اختار الشيخ الكتاني الجزائر؟ ولماذا أولت الطريقة الكتانية للجزائر كل تلك الأهمية من خلال النشاط المكثف فيها أكثر من تونس ومصر؟ فماذا كانت الجزائر تمثل بالنسبة لهذه الطريقة وبالنسبة للشيخ الكتاني تحديدا؟ ويجدر بنا التساؤل أيضا عن جمعية العلماء المسلمين التي وتميزت برفضها التام لنشاط هذه الطريقة في الجزائر وشيخها جملة، وقد مثل هذا الموقف رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي.

أوليات عن الطريقة الكتانية:

أما عن تأسيس هذه الطريقة؛ فإن رجالها يزعمون أنها تنقسم إلى قسمين: الطريقة القديمة "المحمدية"، والطريقة الجديدة "الأحمدية":

. أ- الطريقة القديمة: الطريقة المحمدية الكتانية:

تنسب هذه الطريقة للعائلة الكتانية وهي فرع من السلالة الشريفة التي سكنت المغرب، تنحدر هذه العائلة من الأمير يحى الثالث المدعو بالكتاني ابن عمران الذي ينسب إلى إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طال، فهم علويون على ما يصف الكتانيون

المؤلف المراسل: فيصل مبرك





أنفسهم، ويستدلون على ذلك بما ذكره القادري في كتاب **الدر السني**...، ولكن تجدر الإشارة أنهم لا ينقلون ذلك إلا كلاما غير موثق، كما لم أطلع –أنا شخصيا- على هذا الادعاء في الكتاب المذكور لعبد السلام بن الطيب القادري، في طبعته الحجرية، بخط الشيخ حسن الكتاني، وهي نسخة من خزانة علي بن المنتصر الكتاني.

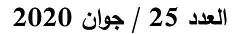
غير أن ما ذكره عبد السلام القادري عن انتساب الفرع الكتاني لا ينفصل عما هو معروف عن مجمل أخبار الشرفاء الأدارسة وما قيل فيه من صحة متفق عليها وفي ذلك يقول: «... لَهُمْ فِي النَّاسِ -عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخُمُولِ- تَسْلِيمٌ مِنَ الْكَافَّةِ لِنَسَبِهِمْ الشَّرِيفِ وَقُبُولٌ، لَا يُخْفَى أَمْرُهُمْ وَلَا يُجْهَلُ فَرْزُهُمْ، وَهُمْ مِنْ بَنِي مُحَمَّدٍ بنِ إِدْرِيسَ الْخَلِيفَةِ بِفَاسَ بَعْدَ أَبِيهِ ثُمَّ مِنْ وَلَدِ حَفِيدِهِ يَحْيَ بنِ يَحْيَ، وَكِلَا هَاذَيْنِ –كَمَا عِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ- كَانَ بِفَاسَ أَمِيرًا...»[2]، ولكن يحي بن يحي المذكور لم يكن هو أول من تلقب بالكتاني، بل حفيده المسمى يحي بن عمران بن يحي الثاني، لهذا فإن ما تستند عليه المؤلفات التاريخية التي تناولت نسب الأسرة الكتانية نقلا عن كتاب **الدر السني**... ككتاب **الرياض الربانية في الشعبة الكتانية** وكذا **النبذة اليسيرة في أحوال الشعبة الكتانية** وغيرها، هو إثبات شرف يحي الثاني المنسوبة إليه هذه العائلة وليس هو بالضرورة إثبات انتماء هذه الأسرة للأصل الإدريسي، وتجدر بي الإشارة إلى أن كلامي هذا لا ينفي انتماء الكتانيين للأصل الإدريسي، ولكنه يمس التأصيل المرجعي للنصوص التاريخية المتداولة في هذه القضية.

لا تهمنا العائلة الكتانية ولا نسبها بقدر ما يهمنا الطريق الذي اتخذته هذه العائلة للوصول إلى مجد الدنيا والدين، وقد بدا ذلك في نهاية القرن التاسع عشر

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



مجلة الدراسات التاريخية



العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

وبداية القرن العشرين في ما يعرف بالطريقة الكتانية، وبعد ذلك بسنوات يتم بناء أول زاوية كتانية بفاس هي: "الزاوية الكتانية الكبرى" بحومة القطانين من عدوة فاس القرويين، حيث أسسها أبو المفاخر الشيخ محمد بن عبدالواحد الكتاني (ت 1289/ 1872)، شيخ الطريقة المحمدية الكتانية.

تأسست الطريقة الكتانية عام 1266هـ/ 1850م بفاس، كضرورة !! لاحتواء ما كان بالمغرب من فتن وتقلبات في الدين والسياسة والمجتمع[(3)]، لهذا أوجدت لها عددا من الزوايا في فاس والقصر الكبير، وزرهون ومراكش وغيرها من مدن المغرب وشنقيط، وفي المشرق أيضا؛ خاصة المدينة المنورة ومصر، وكان لمؤسسها نشاط ملحوظ في الميدان الدعوي[(4)]، وانتفع به خلق كثير من الناس والأعلام، وكم اهتدى على يديه من ضلال، وانطلق إلى باب الله من جاهل، حتى لقب بإمام الأئمة، كما يصفه الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

وكانت له كرامات ظاهرة وخوارق عادات، وما كان يبالي بها، إنما كان ديدنه كثرة العبادة لله تعالى وقيام الليل، والتهجد والصيام والنوافل، والابتعاد عن الشبهات، والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى عرف عند أهل بلاده – فاس – وزمانه بالصلاح والوقار والولاية.

ورحل إلى المشرق للحج ثلاث مرات، أخذ فيها عن أعلام المشرق؛ كالإمام العارف بالله محمد بن علي السنوسي الإدريسي. وأخذ عنه أعلام من المشرق؛ كالإمام العلامة حسين بن محمد الحبشي الباعلوي، شيخ الإسلام بمكة المكرمة، والإمام محمد بن يحيى الولاتي الشنقيطي الذي كان من خاصة أتباعه[(5)].

ولد الشيخ أبو المفاخر عام 1819، وتوفي بفاس عام 1872، وترك أكثر من ثلاثين مؤلفا، ومنظومات شعرية، وأحزابا صوفية تزيد عن الأربعين. وقد خصه غير واحد بالتأليف، وخلفه في طريقته: ابنه الإمام العلامة العارف بالله: الشيخ أبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني.

وهي طريقة محمدية قادرية شاذلية نقشبندية حسبما كان يصفها شيخها، وقد انتهت هذه الطريقة بظهور الطريقة الأحمدية الكتانية، وانضم باقي أتباعها إلى الطريقة الأحمدية الكتانية.

ب- الطريقة الباقية: الطريقة الأحمدية الكتانية:

وهي طريقة ربانية صوفية جامعة، أسسها الإمام أبو الفيض محمد بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني عام 1308، وسنه لما يبلغ العشرين بعد، وهي الطريقة الباقية التي انتشرت مشارق الأرض ومغاربها.

أسس وأركان الطريقة الكتانية:

الأول: التوبة

الثاني: التقوى

الثالث: التماس الأعذار للعيان

الرابع: نظرة التعظيم لسائر مخلوقات الله بمفاهيمها الإسلامية العامة ومقتضيات ما ينبغي إدماجها في هذه المفاهيم من إصلاح وتقويم وتجديد .

محطات مهمة مرت بها الطريقة الكتانية:

– مرحلة النهضة الدينية والعلمية والاجتماعية: منذ سنة 1898 إلى ما بعد استشهاد !! مؤسسها.

– مرحلة النهضة الوطنية والسياسية: من عام 1904 إلى عام 1909، وفيها قامت الطريقة الكتانية بعدة إصلاحات سياسية واجتماعية.

– مرحلة المحنة والكبت: وهي من سنة 1909 إلى 1911، وابتدأت من اعتقال الشيخ محمد الكتاني لعدم رضاه بسياسة السلطان المولى عبد الحفيظ.

– مرحلة التجديد: من سنة 1911 إلى 1914، التي قام بها والد الشيخ المؤسس: عبد الكبير الكتاني.

– مرحلة نشر التعليم والتوجيه، من المغرب إلى المشرق، وذلك من سنة 1914 إلى سنة 1954، وكان رائدها الإمام الحافظ الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

– مرحلة رأب الصدع وجمع الشمل، والاستعداد لعمل جدي قوي في سبيل تركيز دعائم الدعوة الإسلامية من سنة 1954 إلى الآن(6).

الطريقة الكتانية في عهد عبد الحي وعلاقتها بالعمل الوطني:

في الجزء المحذوف من التحقيق* ذكر محمد باقر الكتاني في كتابه: **ترجمة الشهيد الكتاني** ما يلي: «ذَلِكَ أَنَّ وَلَدَهُ الثَّانِي السَّيِّدَ عَبْدَ الْحَيِّ الكتَّانِي الَّذِي أَصْبَحَ رَئِيسَ الطَّرِيقَةِ الكتَّانِيَّةِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَكَانَ أَحَدَ قَادَةِ الْحَرَكَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ فِي عَهْدِ الاِسْتِقْلَالِ السَّالِفِ، وَقَامَ بِأَعْمَالٍ جَلِيلَةٍ لِصَالِحِ دِينِهِ وَوَطَنِهِ تَحْتَ قِيَادَةِ الْمُتَرْجَمِ، مَنْشُورَةٌ فِي الصُّحُفِ وَمُدَوَّنَةٌ فِي الْكُتُبِ وَمُنَوَّهٌ بِهَا فِي الظَّهَائِرِ الْمَلَكِيَّةِ»، وهذا ما يشير إلى أن الطريقة الكتانية برجالها ومنظومتها؛ كان لها دور ريادي في

المؤلف المراسل: فيصل مبرك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

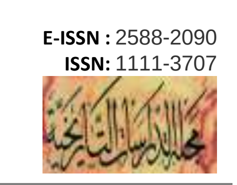
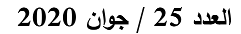


الحركة الوطنية المغربية، لا سيما في الأيام الأولى لفرض الحماية الفرنسية على المغرب، كما تدخلت الطريق الكتانية بكل وزنها للإطاحة بالمولى عبد العزيز، لخرقه العقود التي تنبني عليها صحة بيعة الناس له[7].

انتقال مشيخة الطريقة إلى عبد الحي الكتاني:

في سنة 1915 توفي الملقب بجبل السنة سيدي عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني، الذي كان قائما على الطريقة الكتانية الباقية بالمغرب الأقصى منذ سنة 1911، ليتصدرها رسميا نجله الشيخ عبد الحي، لتدخل الطريقة الكتانية منعرجا حاسما في تاريخها، ذلك ان هذا الرجل –وإن كان يحظى بتزكية الإدارة الفرنسية في المغرب الأقصى-؛ إلا أنه لم يكن معترفا به من قبل بعض أنصار الطريقة الكتانية، ولا سيما أهل مدينة سلا، الذي اعتبروه مفروضا عليهم فرضا من قبل المستعمر الفرنسي، مغتصبا حق غيره من أبناء الشيخ أبي الفيض مؤسس الطريقة، وقد نبه الشيخ أبو الفيض في حياته عن مساوئ أخيه واظهر معاداته واتهمه ببعض الكبائر والعظائم[8]!!

يروي الدكتور تقي الدين الهلالي في كتابه **الهدية الهادية**... أن الشيخ عبد الحي الكتاني عدو لكل الطرق الصوفية، وأنه يعتبرها فقط وسيلة احتيال على أموال الناس باستعمال الدين والقداسة، وتسخير العباد واستعبادهم لخدمة أغراض شيوخ الطريقة والزوايا، وعندما رد عليه تقي الدين الهلالي أنه بهذا الكلام يعتبر آكلا لأموال الناس بالباطل باعتباره شيخا للطريقة الكتانية رد عليه بقوله: «أَنَا لَمْ أُؤَسِّس الطَّرِيقَةَ وَإِنَّمَا أَسَّسَهَا غَيْرِي، وَهَذِهِ الْأَمْوَالُ الَّتِي آخُذُهَا مِنْهُمْ أُنْفِقُهَا فِي مَصَالِحٍ لَا يُنْفِقُونَهَا هُمْ فِيهَا...»[9]، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكلام منطقي جدا،

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مجلة الدراسات التاريخية
العدد 25 / جوان 2020
مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.


بل لا يخفى على الكثيرين في زماننا هذا شأن القادة اللذين يفكرون في مناصبهم ومكانتهم، لذا فإن شيخ الطريقة -وإن لم يصرح بقول مثل هذا-: إلا أنه في الواقع سيفعل به، وسيجد لنفسه تبريرا لأكل أموال الناس والتحكم في فيها، ولو لم يصرح بذلك.

علاقاته مع فرنسا:

سوف يكون الشيخ عبد الحي الكتاني –كشخصية تاريخية- مُلْزَمًا بما تذكره الوثائق التي يعتمد عليها الكثير من الباحثين في كتابة التاريخ، لهذا فإن ربطه أي علاقة مع قادة الاستعمار الفرنسي سيؤثر على تلك السمعة التاريخية، لا سيما وأن ما ناله من مكانة وسمعة كشيخ، حافظ، محدث، ومجدد !! ستؤخذ على اعتبار علاقاته الودية مع الفرنسيين المغتصبين للأرض والمعادين لأهلها، وهذا ما سيكون غريبا جدا لدى كل من يتعرف على شخصية الشيخ عبد الحي الكتاني، ما يجعل هذه الشخصية مثار الكثير من التساؤلات.

وأول ما يمكن أن نستعرضه في تلك المواقف؛ موقف بعض المنتمين للأسرة والطريقة الكتانية، أو اللذين اهتموا بتراث الشيخ عبد الحي الكتاني مثل الشيخ المحقق عبد الله الجباري، الذي حقق كتاب **الإفادات والإنشادات**، هذا الأخير الذي لاحظ ملاحظات هامة -ليست كلها محل اهتمامنا- منها ما يخص منهج الشيخ في تخريج الحديث والرواية وما إلى ذلك، فعبد الحي الكتاني روى هذه الإنشادات والإفادات عن طبقة شيوخه ومن هم في طبقته ومنهم دون ذلك، وروى أيضا عن علماء وأدباء من المغرب بشتى مدنه، ومن الجزائر وتونس ومصر والآستانة والحجاز وغيرها، لكن السؤال الذي طرحه الجباري: هو "لِمَاذَا لَمْ يَرْوِ قَطٌ عَنْ عُلَمَاءِ الْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ؟ وَلَكِنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِي شُعَيْبٍ الدُّكَالِي الَّذِي كَانَ

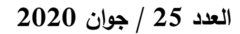
المؤلف المراسل: فيصل مبرك

مُوَالِيًا لِلْاِسْتِعْمَارِ !! وَرَوى عَنْ مُفْتِي قَسَنْطِينَةَ الْمُوْلُود بن الْمَوْهُوب الَّذِي سَعَى لِمَنْعِ ابْنِ بَادِيسَ مِنَ التَّدْرِيسِ بِالْجَامِعِ الْكَبِيرِ، وَلَمْ يَرْوِ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَام بِلْعَرْبِي الْعَلَوِي أَوْ عَلَّال الْفَاسِي أَوْ غَيْرِهِمَا، هَلْ كَانَ لَا يَلْتَقِي بِهِمْ ابْتِدَاءً ؟ أَمْ كَانُوا يَنْبُذُونَهُ وَيَرْفُضُونَ مُجَالَسَتَهُ ؟" سؤال جدير بالبحث والتنقيب[10]، ولكن لا يمكن أن يأخذ الباحث الموضوعي هذه القضية كدليل لإدانة أو اتهام الشيخ الكتاني بالحيدة أو الانحياز، فهذا لا يعد دليلا قاطعا لإثبات أو نفي شيء ما، فالشاهد المذكور فيما ذكر، لا المتروك فيما ترك.

وبالرجوع إلى الأسرة الكتانية نلاحظ أن ما ذكره محمد باقر الكتاني عن عمه عبد الحي؛ وذلك في ترجمته للشيخ الفيض الكتاني مؤسس الطريقة، فنجده جديرا بالاهتمام والتأمل، وقد يحوي في طياته ومعانيه حقدا حقيقا تجاه الشيخ عبد الحي الكتاني، ولعل ذلك راجع إلى قضية أشبه باغتصاب رئاسة الطريقة الكتانية، أو بتغيير مسار العمل الوطني والقومي لها، وذلك واضح وجلي في قوله: « أَقُولُ أَنَّ هَذَا الْوَلَدَ الثَّانِي سَلَبَهُ اللهُ التَّوْفِيقَ وَأَقْصَاهُ عَنْ حَظِيرَةِ الْإِصْلَاحِ فَتَبَدَّلَتْ أَفْكَارُهُ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ، وَأَصْبَحَ يَرَى الْخَيْرَ شَرًا وَالشَّرَّ خَيْرًا، وَمِنْ جُمْلَةِ آرَائِهِ الْخَاطِئَةِ: إِجَابَتُهُ لِلْفِرَنْسِيِّينَ الَّذِينَ طَلَبُوا التَّعَاوُنَ مَعَهُ بِحُجَّةِ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ إِذَايَةِ عَبْدِ الْحَفِيظِ الَّذِي كَانَ يُهَدِّدُهُ بِإِعَادَةِ إِلْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ كُلَّمَا أَوْصَلَ لَهُ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ نَبَأً يُقْلِقُهُ، وَقَدْ كَانَ سَبَقَهُ لِلتَّعَاوُنِ مَعَهُمْ جَمْعٌ مِنْ كِبَارِ الشَّخْصِيَّاتِ، وَمِنْهَا تَرْكُهُ لِمُوَاصَلَةِ الْعَمَلِ فِي الْمَيْدَانِ الْوَطَنِيِّ بِحُجَّةِ أَنَّ رِجَالَ الدَّوْلَةِ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَجَهَلَةِ النَّاسِ لَمْ يُقَدِّرُوا الْأَعْمَالَ الَّتِي قَامَ بِهَا الزُّعَمَاءُ الْكَتَّانِيُّونَ، بَلْ أَسَاءُوا إِلَيْهِمْ قَبْلَ الْمِحْنَةِ وَأَثْنَاءَ الْمِحْنَةِ بِمَا يَحْتَاجُ ذِكْرُهُ إِلَى كِتَابٍ، وَلَمْ يُحَدِّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّدَخُّلِ لَدَى عَبْدِ الْحَفِيظِ لِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِمْ حِينَهَا. وَمِنْهَا عَزْمُهُ عَلَى الانْتِقَامِ مِنْ كُلِّ مَنْ

المؤلف المراسل: فيصل مبرك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707


مجلة الدراسات التاريخية
العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

أَسَاءَ إِلَيْهِ وَإِلَى عَائِلَتِهِ بِفَضْلِ النُّفُوذِ الَّذِي سَيَتَمَتَّعُ بِهِ مِنَ الْفَرَنْسِيِّينَ»[11]، إذن فشخصية الشيخ الكتاني حسب ابن أخيه شخصية مختلة، تسعى للانتقام والوصول إلى الجاه الأكبر، مسخرا كل الإمكانات للوصول إلى تلك الغايات، وهذا ما سمعه الشيخ تقي الدين الهلالي من الشيخ الكتاني مباشرة، من خلال ما أسر له: أنه لا يؤمن لا بالطرق ولا الطرقيين، ولكنها وسيلة فقط لنيل مكاسب دنيوية[12].

تدخل الكتاني في الكثير من القضايا السياسية الحساسة، وقد ألف في ذلك الكثير من المقالات والرسائل نذكر منها على سبيل المثال: **مفاكهة ذوي النبل والإجادة، حضرة مدير جريدة السعادة، في شروط البيعة ونواقضها وما يتعلق بذلك، وأيضا رسالة في أهل الحل والعقد من هم؟** وكذا رسالته المعنونة بـ: **النصيحة للسلطان المولى عبد الحفيظ**، وفي كتابه المذكور أولا: نجد المؤلف في الكثير من المرات مشيدا بالشخصيات الوطنية التي جاهدت من أجل إعلاء كلمة الدين والقيام بأمر الجهاد ونصرة الدين وأهله، كما نجده أيضا يشدد على من استعان بغير المسلمين على المسلمين، واصفا إياه بالردة والكفر !! [13]، وقد أتى بأمثلة من التاريخ الأندلسي والمغربي الكثير من الشواهد، مثل ما حدث للمعتمد بن عباد والفقيه العياشي والمولى محمد الشيخ المأمون السعدي وغيرهم، وبالجملة فإنه جعل الارتماء في أحضان العدو لا يجوز شرعا؛ بل هو ردة، هذه الأفكار التي ناقشها وفصل فيها بطريقته؛ أدخلته في متاهة، بل أدخلت كل رجالات الطريقة الكتانية في ما يمكن أن نسميه نكبة الأسرة الكتانية.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مجلة الدراسات التاريخية
العدد 25 / جوان 2020
مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

الارتماء في أحضان المستعمر الفرنسي:

لقد عانى الشيخ عبد الحي الكتاني الكثير من ويلات السجن على يد المخزن المغربي، مما أثر هذا سلبا على شخصية الشيخ عبد الحي ونفسيته، ففي الوقت الذي أصبح فيه الشيخ يشعر أنه بحاجة إلى نصير معين، لمساعدته على تثبيت عرشه على رأس الطريق الكتانية، وجد نفسه في أحضان المستعمر الفرنسي الذي لن يرفضه، وأيضا لن يرفض أي طرقي يمكنه أن يتعايش مع فرنسا.

وقبل هذا كان الشيخ عبد الحي يعلن صداقته وعلاقاته مع بعض الشخصيات الفرنسية كالجنرال هوبير ليوطي *Louis Hubert Gonzalve Lyautey*، حبيب الأمة المغربية !!(14)، كما نجده يحضر في تأبينية الكونت هنري دي كاستري*، وألقى خطابا مؤثرا في هذه المناسبة، ضمنه مدح وثناء على ضابط العساكر الفرانساوية(15).

وقد تأكدت صداقة الشيخ مع الفرنسيين إثر قضية إزاحة محمد بن يوسف عن العرش الملكي، هذه القضية قصمت ظهر الكتاني والكتانيين الثانية التي مفادها أن الشيخ عبد الحي ناصر بن عرفة ضد بن يوسف في 1953 والذي عبر عنه إدريس المودن بقوله: « أَكْسَبَهُ صُورَةَ "الْخَائِنِ" بِامْتِيَازٍ، مِمَّا سَاهَمَ فِي تَطَوُّرِ الصُّورَةِ النَّمَطِيَّةِ الَّتِي وَظَفَتْهَا الْحَرَكَةُ الْوَطَنِيَّةُ وَأَحْزَابُهَا لِلتَّسْوِيقِ لِنَفْسِهَا مُسْتَغِلَّةً هَذَا الْمُعْطَى، خُصُوصًا أَنَّهُ مُنْذُ الثَّلَاثِينَاتِ قَامَتْ فَرَنْسَا بِمُسَاعَدَةِ الْكَتَّانِي فِي تَكْوِينِ رَابِطَةٍ لِلزَّوَايَا الْمُنَاصِرَةِ لَهَا فِي شَمَالِ إِفْرِيقِيَا الْفَرَنْسِيَّةِ، كَمَا فَعَلَتْ فِي غَرْبِ إِفْرِيقِيَا حَتَّى تُحَجِّمَ دَوْرَ الزَّوَايَا الْمُنَاوِئَةِ» (16)، غير أن محمد الباقر الكتاني لا يرى في ذلك سوءا على الطريقة الكتانية لأنه يحصر ما سماه "بالمؤامرة !!"(17) على

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

القضية المغربية؛ يحصرها فيمن باء بإثمها وهو عمه الشيخ عبد الحي الكتاني دون بقية الكتانيين، على اعتبار أن بقية الكتانيين قد انعزلوا عنه وانضموا إليه هو، لأنه يرى نفسه وريث طريقة أبيه[18].

كما أن الشيخ الكتاني أصبح يرى أنه من الضروري البحث عن حلفاء وأصدقاء طرقيين خارج المغرب الأقصى، ومن هنا كانت الجزائر وتونس ومصر وجهته المليئة بالطموحات، وسيساعده في ذلك الفرنسيون.

زيارة الشيخ عبد الحي الكتاني للجزائر:

لقد كان الشيخ الكتاني يعلم أن طموحاته الكبيرة لا يمكن أن تنفذ في المغرب الأقصى حسب ما يريده، في ضل وجود الكثير من رواد الحركة الوطنية على اختلاف مشاربهم، واللذين لا يثق فيهم بالقدر الكافي لاختلاف ميولاتهم وتنوع مشاربهم، لذا فلا غرو أن نجده يوجه أنظاره إلى الجزائر منذ نهاية العشرينات من ذلك القرن.

لا بد أن تكون زيارة الشيخ عبد الحي الكتاني للجزائر غزيرة بالفوائد، من حيث المحطات التي توقف عندها والشخصيات الصوفية التي حظيت بلقائه، والترتيبات الخاصة لاستقباله، فمن تلك المحطات نذكر مدينة معسكر وتلمسان في الغرب الجزائري، وقسنطينة وبسكرة في الشرق، لا سيما وأن سمعته وشهرته العلمية قد وصلت قبله، ففي أول زيارة للشيخ الكتاني كان الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أعد له قصيدة مدح من نظمه زادت في تلك الشهرة وتلك السمعة على وفيها قوله:

تَبَدَّى السَّعْدُ فِي الْحُلَلِ الْبَهِيَّة *** وَعَمَّ الْبَشْرُ فِي هَذِي الْبَرِيَّة
وَأَجْنَانَا الزَّمَانُ عَلَى سَخَاءٍ *** ثِمَارَ الْأُنْسِ سَائِغَـةً هَنِيَّة
فَحَلَّ بِأَرْضِنَا حَبْـرٌ كَرِيـمٌ *** لَهُ فِي الدِّينِ آثَـارٌ جَلِيَّـة

وله في مدحه قصيدة أخرى جاء فيها:

أَهْلًا بِأَكْرَمِ زَائِرٍ سُعِدَتْ بِهِ *** بَلَدٌ غَدَتْ تَهْتَزُّ كَالنَّشْوَانِ
وَتَبَادَلَتْ آيَ التَّهَانِي رِجَالُهَا *** فَكَأَنَّهَا فِي الْعِيدِ وَالْغُفْرَانِ
يَا أَيُّهَا الضَّيْفُ الْمُكَرَّمُ مَرْحَبًا *** شَرَّفْتَنَا، فَانْزِلْ أَجَلَّ مَكَانٍ

وأخرى ثالثة جاء فيها:

بُشْرَى فَقَدْ جَادَ الزَّمَانُ وَأَنْعَمَا *** فَغَدَا الْفُؤَادُ مِنَ الْمَسَرَّةِ مُفْعَمَا
قَدْ حَلَّ حَبْرُ الدِّينِ فِي بَلَدِ الْهَوَى *** لَبِسَتْ بِهِ حِلْيَ الْجَمَالِ مُخَتَّمَا
أَحْيَيْتَ عَبْدَ الْحَيِّ مِنَّا أَنْفُسًا *** وَأَرَيْتَنَا الْخَلْقَ الْكَرِيمَ مُجَسَّمَا

تكررت زيارات الشيخ عبد الحي الكتاني للجزائر وتونس، ولم تكن تلك الزيارات اللاحقة أقل شأنا من الأولى، من حيث غزارة الفائدة واجتماعه بالشخصيات الدينية والصوفية وحتى الفرنسية، ونذكر على سبيل المثال قدومه على الزاوية الحملاوية بواد العثمانية من عمالة قسنطينة[19]، ليتم التنسيق بين الزاويتين حول الموسم السنوي للطريقة الكتانية في مدينة فاس الذي سيحضره أربعون جزائري، سيكونون في ضيافة الشيخ عبد الحي والطريقة الكتانية[20]، وقد استجاب لهذه الدعوة ثلاثون شخصية حضرت الاحتفال فعليا[21].

وفي أرشيف الداخلية الفرنسي تتحدث النشرية الشهرية للقضايا الإسلامية لشهر سبتمبر 1949، أن الشيخ عبد الحي الكتاني سيمثل المدرسين التقلديين

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707


"الطرقيين"، في الوقت التي تذكر الوثيقة مشايخ أخرين كالشيخ العاصمي مفتي الحنفية بالعاصمة، والشيخ لخضاري عبداللي من قسنطينة[22].

لقد وسع الشيخ الكتاني نفوذه في أقاليم بعيدة في العمق الجزائري، بل الأمر قد وصل إلى أن الشيخ الكتاني نفسه كان بصدد تعيينه حاكما من قبل السلطات الفرنسية على إقليم القنادسة بعين الصفراء في حدود شهر جانفي سنة 1953، خلفا للعرج عبد الرحمن الذي ذكر في التقرير على أنه غير ذا فعالية وتأثير في إقليم الحدود الجزائرية المغربية، لهذا فإنه سيستبدل بالشيخ الكتاني، الذي أسندت له رسميا رئاسة *la Fédération de confréries du Maroc oriental*، أو اتحاد الأخوية للمغرب الشرقي، وهو ما أشير إليه أنها هيئة قد أسست حديثا جدا[23]، وكان قبل ذلك قد ترأس مؤتمر اتحاد الزوايا الصوفية بالشمال الإفريقي وتحت الرعاية الفرنسية سنة 1939، وبهذه فقد جندت فرنسا الشيخ عبد الحي الكتاني لجمع كلمة شيوخ الزوايا الصوفية في الشمال الإفريقي للوقوف معها لمواجهة مجاهدي الحركة الوطنية الذين قد يشكلون خطرا على الوجود الفرنسي بالشمال الإفريقي، وأخص بالذكر أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

موقف الشيخ البشير الإبراهيمي من نشاطات الطريقة الكتانية في الجزائر:

لا يمكن حصر علاقات رجال الطريقة الكتانية -وعلى رأسهم الشيخ عبد الحي- مع الجزائر والنخب التقليدية الجزائرية في موقف واحد، ولكننا يمكن أن نجعل مواقف النخبة التقليدية الجزائرية على نقيضين، الموقف الأول يمكن أن نسميه الموقف الطرقي، الذي يتزعمه رجال كل من الطريقة الهبرية والرحامنية، ولعل من أهم الأسماء التي يستشهد بها في ذلك الشيخ مصطفى القاسمي الهاملي

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مجلة الدراسات التاريخية
العدد 25 / جوان 2020

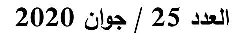
مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

البوسعادي، والشيخ محمد الفاضل بن الطاهر بن عاشور والمكي بن عزوز، أما الموقف النقيض تماما هو موقف جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها الشيخ البشير الإبراهيمي.

لم يكن الشيخ البشير الإبراهيمي الذي خلف عبد الحميد بن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متغافلا عما يحدث على الساحة السياسية والثقافية والإعلامية، بل كان يتابع التطورات أولا بأول، ولكنه فضل الصمت أول الأمر بخصوص مؤتمر الأئمة، لأنه اعتبرهم "مَغْرُورِينَ فِيمَا أَتَوْا هَذِهِ الْمَرَّةَ إِلَّا وَاحِدًا أَوْ اِثْنَيْنِ، تَعَوَّدَتِ الْحُكُومَةُ أَنْ تُخَطِّطَ لَهُمَا فَيُنَفِّذَا، وَأَمَّا رِجَالُ الزَّوَايَا، فَلَوْلَا ذَلِكَ الْعَامِلُ الْجَلِيبُ؛ لَمَا أَقْدَمُوا عَلَى مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِنَّ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ لَعَظِيمٌ، وَلَا يَجُوزُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ"[24]، وأخيرا قرر الشيخ البشير الإبراهيمي أن يتصدى لنشاطات الشيخ الكتاني في الجزائر باعتباره أداة يستخدمها المستعمر الفرنسي كما يشاء، أو "يُدِيرُهُ كَمَا شَاءَ ، يُحَرِّكُهُ لِلْفِتْنَةِ فَيَتَحَرَّكْ، وَيَدْعُوهُ إِلَى تَفْرِيقِ الصُّفُوفِ فَيَسْتَجِيب، وَيَنْدُبُهُ إِلَى التَّضْرِيبِ وَالتَّخْرِيبِ فَيَجِدُهُ أَطْوَعَ مِنْ بَنَانِهِ"[25].

وإن المتبع للمقال الذي كتبه الشيخ البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر سيتوقف طويلا أمام المعاني التي أضمرها وراء مصطلحاته التي تشير وبكل صراحة إلى إيديولوجية الصراع القائم بين الطرق الموالية أو المتعاملة مع الاستعمار الفرنسية وبين الجمعية العلماء المسلمين المحافظة نوعا ما، ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله: «وبلغنا ما وقع في المؤتمر بالتفصيل أيضا، حتى أسماء الحاضرين والخطباء...، حتى قام طالب مأجور يعدونه من أتباع الأتباع، فذكر جمعية العلماء... أنها جمعية وهابية...، ونحن هنا لا يهمنا ذلك كله كما لا

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707


مجلة الدراسات التاريخية
العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

يهمنا ما نشرته الجرائد الفرنسية من مقاصد وغايات، لأننا نعلم الحقيقة علم اليقين»[26].

وبعد أن يفصل الشيخ البشير الإبراهيمي في مقاله **أفي كل حي عبد الحي؟** في مطالب جمهور العلماء ترأسهم في هذا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ التي تتلخص مجملها في فصل الدين عن الحكومة الفرنسية، دون رفع يد الإعانة المادية والتخلي التام عن الجان الديني، أو يمكن أن نلخص ذلك في مطلب عدم توجيه واستخدام الدين من طرف فرنسا ولا رجال الدين ولا المؤسسات الدينية فيما يخدم الاستعمار والمستعمر، ليختم كل هذا بسؤال وجيه "مَنْ هُوَ عَبْدُ الْحَيّ؟ وَمَا شَأْنُهُ؟"[27] ما شأنه من كل تلك التغيرات وكل تلك المطالب الوطنية والشعبية؟ وعلى الرغم من أن حكم الشيخ البشير الإبراهيمي على الكتاني يعتبر قاسيا جدا، إلا انه كان واضحا لا يشوبه الغموض، بل وأوضح حتى من مما أعلنه المؤتمرون في مؤتمر الزوايا في 15 مارس 1948 "وَكَأَنَّهُ أَصْغَرَ الْمَغْرِبَ-عَلَى سَعَتِهِ- أَنْ يَكُونَ مَجَالًا لِأَلَاعِيبِهِ !! وَمَكَايِدِهِ !! فَجَاوَزَ فِي هَذِه المَرَّةَ الْحُدُودَ، وَتَخَطَّى الأُخْدُودَ، وَانْدَفَعَ إِلَى الْجَزَائِرِ وَتُونُسَ لِيَبُثَّ فِيهِمَا سُمُومَهُ، وَيَتَّخِذَ مِنْهُمَا مَلْعَبًا جَدِيدًا لِرِوَايَتِهِ الَّتِي مِنْهَا مُؤْتَمَرُ الزَّوَايَا بِالْجَزَائِرِ، وَلِيَقُومَ لِلْحُكُومَةِ بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ مِنْ اسْتِئْلَافِ النَّافِرِ، وَاسْتِنْزَالِ الْعَاقِّ، وَلِيُوَحِّدَ بَيْنَ الأَقْطَارِ الثَّلَاثَةِ وَلَكِنْ بِالتَّفْرِيقِ، وَلْيُنقِذَهَا مِنَ الْبَحْرِ وَلَكِنْ بِالتَّغْرِيقِ"[28].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



مجلة الدراسات التاريخية
العدد 25 / جوان 2020
مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

خاتمة:

بعد كل ما جاء في متن المقال يمكننا الوصول إلى مجموعة من الملاحظات والمستخلصات في شكل خاتمة عامة ونلخصها كالتالي:

- لا شك أن كل قطر من الأقطار العربية المستعمرة خلال النصف الأول من القرن العشرين له خواصه ومميزاته التي انفرد بها عن غيره، ومن ضمن ذلك خصوصية الحركة النضالية، التي نصطلح عليها عادة "الحركة الوطنية"، فالحركة الوطنية المغربية التي تفاعلت داخل إطارها المغاربي الكبير؛ كانت نشطة إلى حد ما ومختلفة أيضا في توجهاتها ورؤاها واقتراحاتها لما يخدم الصالح العام في المغرب الأقصى، لهذا لا يمكننا أن نزايد أو ننحاز إلى جهة ما دون الأخرى، أو أن ننتقص من تيار أو حزب أو شخصية مهما كان نوعها، لأن كل الحركة الوطنية بثقلها في شكل أحزاب وشخصيات وتيارات فكرية وسياسية؛ كلها ذات أثر قوي وإيجابي.
- لا ينكر أحد المكانة التي حظي بها الكتاني في العالم الإسلامي شرقا وغربا، من حيث تكوينه كعالم ومحدث وفقيه، بل ومجتهد، ومن حيث مؤلفاته التي انتشرت بين الناس، وكذا من حيث نجاحه في تكوين علاقات مختلفة سواء من داخل أهل التصوف عامة والطريقة الكتانية خاصة، وكذا داخل الأوساط السياسية والنخب المختلفة والبلاط الملكي، وأيضا لدى شخصيات فرنسية وقيادات عسكرية، وأن نختزل مسيرته عامة في سطر أو كلمة واحدة من كلمات التعظيم أو التقحير؛ فإن هذا يجانب الصواب وليس من العلمية في شيء.
- وصل الشيخ عبد الحي الكتاني إلى القيام بأمر الطريقة الكتانية في وقت صعب جدا، يتمثل في زعزعة الثقة بين رجال الطريقة أنفسهم وبين الطريقة والبلاط

مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

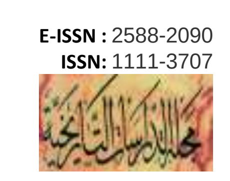


الملكي من جهة أخرى، وهو ما أخلى الجو للمستعمر الفرنسي للتقرب أكثر من أهل هذه الطريقة وعلى رأسهم الشيخ عبد الحي الكتاني، ولربما ذلك ما جعل الكتاني وبعض الكتانيين يتوجهون لحليف ثان هو المستعمر الفرنسي.

- الشيخ عبد الحي الكتاني زار الجزائر أكثر من مرة، ولا بد أن تكون الزيارات الأخيرة متزامنة مع تغييره لبعض القناعات وبعض السياسات، ومنها اقتناعه بالبحث عن مجال ليرسخ فيه سلطته الخاصة، هذا الهدف ستساعده فيه فرنسا التي تبحث عن تقسيم المقسم وتفتيت المفتت، فلا غرو أن نجد استقبال الجزائريين له أول مرة على أساس أنه شيخ محدث وحافظ مجدد، بينما اختلف استقبالهم له في الزيارات التالية، إذ اقتصر الاستقبال على رجال التصوف فقط دون غيرهم، كما اختلفت ردود الأفعال بالنسبة لغيرهم، كالشيخ الإبراهيمي مثلا.
- كشفت التقارير والوثائق الأرشيفية أن الشيخ الكتاني كان يسعى للنفوذ والرئاسة، بعد أن تمكن من حيازة الأموال ونيل الشهرة والسلطة الروحية، فحاول مد نفوذه في أقاليم بعيدة في العمق الجزائري، وقد سبق في هذا المقال الإشارة إلى أن الشيخ الكتاني كان يستعد لتعيينه حاكما من قبل السلطات الفرنسية على إقليم القنادسة بعين الصفراء في حدود شهر جانفي سنة 1953، لذا فلا عجب أن تكون كل الزيارات والنشاطات التي قام بها الكتاني على غرار مؤتمر الزوايا ومؤتمر الأئمة كلها كانت تمهيدا لجمع الكلمة الصوفية تحت راية واحدة، هي فعلا ليست راية الاستعمار، ولكنها راية الطريقة الكتانية.
- موقف الشيخ البشير الإبراهيمي من الكتاني وزياراته ونشاطاته كانت واضحة، وصريحة وطبيعية جدا، لاختلاف المنطلقات التي انطلق منها كل من جمعية

المؤلف المراسل: فيصل مبرك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



العلماء المسلمين الجزائريين والطريقة الكتانية، بل إن الجمعية كانت ترى في تلك الطرق وأولائك الطرقيين؛ كلهم متخاذلون في نصرة الحق والدفاع عن الدين وعن الأمة وعن الوطن، بل كانت تسعى لتخليص العوام والشعوب من تأثير هؤلاء الطرقيين السلبي على العقول.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

الملحق الأول: الصفحة 239 من الصفحات المحذوفة من كتاب ترجمة الشهيد الكتاني، لمحمد باقر الكتاني.

رضي الله عنه يجيب بان كل من رضي بحكم الكفار يعد كافرا في نظر الاسلام ومن اجل ذلك يجب تجديد الايمان وخوض معركة الكفاح بهذا حدثني جمع من الاخوان وفيهم من لا يزال حيا الى الان .

وبعد رجوعه من رحلته بنحو ستة اشهر التحق بالرفيق الاعلى صبيحة يوم الخميس 20 ربيع الاول سنة ١٣٣٣ فانهد بموته صرح من صروح الاسلام لم يشيد الى الان كما فتح موته على الطريقة الكتانية باب المحن والاهوال ذلك ان ولده الثاني السيد عبد الحي الكتاني الذي اصبح رئيس الطريقة الكتانية بعد موته وكان احد قادة الحركة الاسلامية والوطنية في عهد الاستقلال السالف ، وقام باعمال جليلة لصالح دينه ووطنه تحدث فيسالة المترجم منشورة في الصحف ومدونة في الكتب ، ومنوه بها في الظهائر الملكية ، اقول ان هذا الولد الثاني سلبه الله التوفيق ، واعماه عن حظيرة الاصلاح ، فتبدلت افكاره راسا على عقب ، واصبح يرى الخير شرا ، والشر خيرا ، ومن جملة ارائه الخاطئة اجابته للفرنسيين الذين طلبوا التعاون معه بحجة ان ينجو من النابة عبد الحفيظ الذي كان يهدده باعادة القاء القبض عليه كلما اوصل اليه شياطين الانس نبا يقلقه وكان قد سبقه للتعاون معهم جمع من كبار الشخصيات ومنها تركه لمواصلة العمل في الميدان الوطني بحجة ان رجال الدولة وجماعة من كبار العلماء ، وجهلة الناس لم يقدروا الاعمال التي قام بها الزعماء الكتانيون بل اساءوا اليهم قبل المحنة ، واثناء المحنة بما يحتاج ذكره الى كتاب ولم يحدلوا انفسهم بالتدخل لدى عبد الحفيظ لاطلاق سراحهم حينا ومنها عزمه على الانتقام من كل من اساء اليه والى عائلته بفضل النفوذ الذي سيتمتع به من الفرنسيين .

نعم اصبحت بينه وبينهم صلات متينة وصاروا يزورون منزله في كل مناسبة وخصوصا في الذكرى السنوية التي كان يقيمها لوالده المقدس ، واباحوا له التجول في البادية في كل سنة ونظموا له الاستقبالات المدهشة ، فكان ما ذكر مدعاة الى الابتعاد عنه من طرف ابناء المترجم وزعماء الطريقة الكتانية ومدعاة الى تاسيس جبهة المعارضة بقيادة شقيقي الاكبر الشيخ محمد المهدي رحمه الله

ومما اعان على توسيع شقة الخلاف كتابته لوثيقة تتضمن نفي مشيخة الطريقة الكتانية وتاسيسها عن المترجم ونسبة ذلك الى جدنا ابي المفاخر الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني قدس سره وقيام والده الشيخ عبد الكبير بها منذ وفاة والده سنة ١٢٨٩ الى سنة موته ١٣٣٣ والاقتصار على القول بان المترجم ظهر بالطريقة في حياة والده وحصل للطريق بسببه رواج واشتهار فقط والتاكيد بان المتولي امرها بعدهما هو السيد عبد الحي المذكور

— 239 —



المؤلف المراسل: فيصل مبرك

مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



الملحق الثاني: الصفحة 240 من الصفحات المحذوفة من كتاب ترجمة الشهيد الكتاني، لمحمد باقر الكتاني.

في حين ان كل الناس يعلمون ان جدنا ابا المفاخر كان شيخا ومؤسسا للطريقة الكتانية المحمدية التي كانت موجودة بفاس وبعض المدن القريبة منها في الربع الاخير من القرن الماضي واوائل هذا القرن لم انقرضت بانقراض مريديها وقامت اثرها الطريقة الكتانية الاحمدية التي اسسها المترجم وهو دون العشرين من عمره ولم يكن قصد شقيق المترجم بهذا العمل الا تحويل انظار المريدين الكتانيين عن المترجم وابناء المترجم وتوجيهها اليه وقصرها عليه، فكانت فتنة عمياء شغلت المريدين حقبة من الزمن، وحالت بينهم وبين مواصلة العمل بجد في الميدان الوطني وجعلتهم يشتغلون بعمل المواجب لتفنيد مدعاه وصارت مجالسهم لا تخلو من الحديث في هذا الموضوع . وقد احتوت وثيقة العم على مئات من امضاءات الشخصيات الرسمية البارزة التي كانت تداريه فتشهد الزور محافظة على مناصبها بينما كانت مواجب الاخوان مشتملة على مئات من امضاءات المريدين الذين يعرفون الحقائق ولا يكتمونها ورجال العلم والدين الغير الرسميين .

ولم يقتصر النزاع على اقامة المواجب والحديث في المجالس بل تعداه الى ميدان التاليف فالف كل من العم والشقيق الاكبر وبعض علماء الطريق مؤلفات ورسائل ، ونشروا وثائق ومستندات

واثناء هذا العراك كان حاكم فاس الفرنسي يوجه استدعاء في كل شهر لرئيس جبهة المعارضة وكان يصله قبل الموعد المقرر للمقابلة بايام ليتركه يفكر في القصد منه وحينما تتم المقابلة بعد انتظار قد يطول الساعة والساعتين يفاجاه بالتهديد والوعيد فاذا سأله عن السبب ذكر له انه كتب رسالة للاخوان بالقبيلة الفلانية يدعوهم فيها للمقاومة ، وكانت الاسباب تتعدد بتعدد الاستدعاءات وكان الرئيس ينكر صدق تلك الاسباب ويصرح بان مراسلاته لاتتجاوز نطاق الوعظ والارشاد ولما تكرر ذلك قصد عاصمة الرباط لمقابلة جلالة السلطان ابي المحاسن مولاي يوسف رحمه الله لتقديم شكوى اليه بحاكم فاس وشرح موقفه من عمه الذي سلبه كثيرا من حقوقه وحقوق اخوته وتفانى في اذايتهم وقد بذل السلطان كل ما في وسعه لتخفيف الآلام عنه واتخذ عدة تدابير من اجل ذلك واخيرا رغب منه ان يقيم بالرباط ليكون على مرأى منه ومسمع . فاجاب رغبته واقام به ثلاث سنين كان يوجه الاخوان منها توجيها رشيدا ثم بدا له أن ينقل العائلة من فاس الى الرباط فتم ذلك سنة 1339 وفي الرباط دعاني لتسيير شئون الطريق بجانبه فكنت القي حلقات الدروس للوفود واوجه الرسائل الارشادية للاخوان واسافر بطريقة سرية لعدة جهات بالبادية لان ابناء المترجم كانوا ممنوعين من السفر للبوادي طيلة



E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020


مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

الملحق رقم 03: وثيقة لعلها بخط الشيخ عبد الحي الكتاني كتبت بمناسبة وفاة الكونت هنري دي كاستري.

مخطوطات الخزانة الملكية، الرباط، تحت رقم12780

المؤلف المراسل: فيصل مبرك

مجلة الدراسات التاريخية

العدد 25 / جوان 2020

مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



الهوامش:

(1) تجدر الإشارة إلى أن وفاة الشيخ أبي الفيض كانت قمة في التراجيديا والمعاناة الإنسانية وهو ابن السبعة والثلاثين سنة، حيث أمر السلطان عبد الحفيظ يوم السبت 17 ربيع الأول 1327 هـ / 1909م بجلد الشيخ ألفي جلدة في ساحة سجنه بقصر أبي الخصيصات في حضور والده وولده وشقيقه عبد الحي الكتاني، وذلك بعد مناظرة طويلة حضر فيها الأعيان والعلماء، وكان يردد أثناء الضرب "اللهم إن كان هذا في رضاك فزدني منه". ومات بعد تلقي حوالي 500 جلدة بعد أن ساءت حالته الصحية والنفسية، وذلك صبيحة يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني من نفس السنة، وقد أخفي خبر وفاته عن الناس، ودفن بتكتم شديد، ثم طمس قبره، ولعل شيئا من هذه الصور المؤسفة؛ قد دونها الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه **ما علق في البال أيام الاعتقال**، وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن الصديق الغماري في كتابه **التصور والتصديق...**؛ -ما أوله البعض- أن السلطان عبد الحفيظ ندم على معاملته السيئة مع أبي الفيض الكتاني وطلب الشفاعة والتوبة على يد الشيخ محمد بن الصديق الغماري الشاذلي طريقةً، وأن هذا الأخير رفض لقاءه رغم مكوثه "أَزْيَدَ مِنْ شَهْرَيْنِ يَتَمَلَّقُ وَيُرَغِّبُ وَيَتَوَسَّلُ بِكُلِّ الوَسَائِلِ، فَمَا أَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَلَا رَاعَى فِيهِ الْوَسَائِطَ وَالشُّفَعَاءَ الَّذِينَ طَالَ تَرَدُّدُهُمْ إِلَيْهِ وَإِلْحَاحُهُمْ عَلَيْهِ فِي الاِجْتِمَاعِ لِأَخْذِهِمْ الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ عَبْدِ الْحَفِيظِ !!"، أنظر: أحمد بن محمد بن الصديق لغماري، التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق، مكتبة الخانجي ومطبعتها، القاهرة، 1366هـ، ص1266، أنظر أيضا محمد الباقر الكتاني، شرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، تحقيق نور الهدى عبد الرحمن الكتاني، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ص ص429، 430.

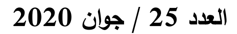
(2) عبد السلام القادري، الدر السني في بعض من بفاس من النسب الحسني، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم د.1456، ص38.

(3) محمد الباقر الكتاني، شرف الأماني بترجمة سيدي محمد الكتاني، تحقيق نور الهدى عبد الرحمن الكتاني، ط1، مركز التراث المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص82 وما يليها.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



مجلة الدراسات التاريخية



العدد 25 / جوان 2020



مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

(4) المصدر نفسه، ص86 وما يليها.

(5) المصدر نفسه، ص171وما يليها.

(6) **عبد اللاوي خليفة**، "الكتانية" المغربية.. الإصلاح والثورة من جبة الزوايا، https://islamonline.net/342 .

*أنظر الملحق الأول والثاني في هذا المقال.

(7) أنظر الفصل الخاص بشروط الإمامة في رسالة عبد الحي الكتاني، مفاكهة ذوي النبل والإجادة؛ حضرة مدير جريدة السعادة، ص6 وما يليها.

(8) هذا ما نقله صاحب كتاب **الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية** عن الشيخ عبد الله بن سعيد العلوي، أنظر: محمد تقي الدين الهلالي، الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية، ط2، ص12.

(9) الهدية الهادية، ص ص 13، 14.

(10) عبد الله الجباري، الإفادات والإنشادات للشيخ عبد الحي الكتاني -قراءة ثانية-، شبكة ضياء للدراسات والمؤتمرات، النسخة الإلكترونية.

(11) أنظر الملحق الأول في نهاية هذا المقال.

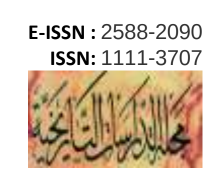
(12) ولكن هذا الأمر يؤدي بنا إلى مفارقة مع ما كتبه الشيخ الكتاني حيث سخر الكثير من النقول لإثبات شرعية ومشروعية الذكر الجماعي في الحضرة الصوفية، وذلك في كتاب ألفه الشيخ، وهو بعنوان **رسالة في مشروعية الذكر بالرقص وإجماع الطرق الصوفية على ذلك**، تقديم ومراجعة محمد حمزة بن علي الكتاني، حققه عدنان بن عبد الله زهار، أنظر أيضا: تقي الدين الهلالي، مصدر سابق، ص14.

(13) تجدر الإشارة إلى أن هذه الصفات كلها ألقى بها على المولى عبد العزيز بن الحسن العلوي حاكم الرباط 1894- 1908م، أنظر عبد الحي الكتاني، مفاكهة ذوي النبل والإجادة...، ضمن كتاب رسالتان في الإمامة العظمى، تحقيق هشام بن محمد حيجر الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص114 وما يليها.

(14) رسالة في تأبين دوكاستري، لعبد الحي الكتاني. مخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم : 12780.

* كان هنري دي كاستري من المهتمين بالتاريخ الإسلامي وحضارة الإسلام، ولعله في كتابه الذي نشره أول مرة سنة 1906 تحت عنوان: « L'Islam Impressions et Études » وحسب الكثير من الباحثين؛

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707



قد أنصف الإسلام والمسلمين، غير أنه كان قد ألقى سنة 1879 تصريحا يظهر فيه رؤيته التي لا تتعارف مع المشروع الاستعماري الفرنسي، يؤكد فيه أن المغرب جزء ضروري لاكتمال الإمبراطورية الفرنسية بالشمال الإفريقي، فحتى موضوعيته وحبه للإسلام أحيانا لم ينفيا عنه أنه ذا مشروع استعماري رفقة جيله من الضباط الفرنسيين،

HENRY DE CASTRIES, L'Islam Impressions et Études, 4emme ÉOITION, Librairie Armand Colin, Paris, 1907, p3 et s.

(15) أنظر الملحق رقم03 أسفل هذه المقال.

(16) يوسف منصف، مولاي ادريس المودن، هكذا استغل الاستعمار الدين لحكم المغاربة!، موقع تيزنيت 24، 21 جويلية 2014.

(17) محمد باقر الكتاني، مصدر سابق، ص461.

(18) يذكر محمد باقر الكتاني حول هذه القضية، أنه كان معارضا لموقف عمه عبد الحي، ومعارضا لكونه رئيسا للطريقة، بل ويرفض المبادرة التي تجعل الشيخ عبد الحي على ممثلا على رأس الطرق الصوفية في محادثات إيكس ليبان بين حكومة إدغارد فور، ومناضلي الحركة الوطنية المغربية، محمد باقر الكتاني، مصدر سابق، ص461.

(19) تجدر الإشارة إلى أن العلاقات بين الكتانيين والزاوية الحملاوية الرحمانية ثم الخلوتية والهبرية، بعد زواج عمر بن الحملاوي من ابنة الشيخ عبد الحي الكتاني رئيس الطريقة الكتانية بالمغرب، وذلك في 11 ديسمبر 1951،

- *A.W.O: Bulletin Mensuel des Questions Islamiques, Décembre 1951, P111.*

(20) *A.W.O: **B.M.Q.I**, Octobre 1952, P110.*

(21) *A.W.O: **B.M.Q.I**, Octobre 1948, P04.*

(22) *-A.W.O: **B.M.Q.I**, Septembre 1949, P80-81.*

(23) A.W.O: **B.M.Q.I**, Janvier 1953, P111.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مجلة الدراسات التاريخية
العدد 25 / جوان 2020
مشروع الطريقة الكتانية: ص 429-457.

(24) محمد البشير الإبراهيمي، أفي كل حي عبد الحي- مؤتمر الزوايا بعد مؤتمر الأئمة، ضمن مجموع آثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ج3، 391.

(25) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص391

(26) المصدر نفسه، ج3، 394.

(27) المصدر نفسه، ج3، 395.

(28) عيون البصائر، مصدر سابق، ص617 وما يليها.